في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض إنطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهارون إستهزاء بهما فقالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ثم قال بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرةفاها فجعلت العصي تلتبس بالحبال حتى صارت جزرا إلى الثعبان تدخل فيه ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله آمنا بالله وبما جاء به موسى من ثم الله ونتوب إلى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن هذا فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويواثقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفلق إثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقى بعد من فرعون وأشياعه فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون افعل ما التابعين به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربي إذا أتيت البحر إنفرق إثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى

استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ثم إن هؤلاء متبر ما هم فيه الآية قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلا وقال أطيعوا هارون فإني قد أستخلفته عليكم فإني ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح قال أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك أرجع فصم عشرا ثم ائتني ففعل موسى عليه السلام ما أمر به فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع لكم فيهم مثل ذلك فإني أرى أنكم تحتسبون مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا همام ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا فحفر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوها في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضى له أن رأى أثرا فقبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامري ألا تلقى ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد فألقاها ودعا له هارون فقال أريد أن يكون عجلا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح وله خوار قال ابن عباس لا والله ما كان قط

تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 153

إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو إسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون ياقوم إنما فتنتم به

وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا هذه أربعون يوما قد مضت وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقى قومه من بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف إلى السامري فقال له ما حملك على ما صنعت قال قبضت قبضت من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فأذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وأنظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألوا الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله أطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فقال يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها قومي هلا أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقى من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمرهم به أن يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بإيمانهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوما جبارين خلقهم خلق منكر وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا ولا ندخلها

ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأه قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجا إليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل قالوا يا موسى لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم موسى فاسقين وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى

تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 154

على موسى أمر القتيل الذي قتل فقال كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وأنطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون الإسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعوني قال الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره وهكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه تزوجها إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا الآيات 20\40 44 يقول تعالى مخاطبا لموسى عليه السلام أنه لبث مقيما في أهل مدين فارا من فرعون وملئه يرعى على صهره حتى إنتهت المدة وانقضى الأجل ثم جاء موافقا لقدر الله وإرادته ميعاد والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال ثم جئت على قدر يا

موسى قال مجاهد أي على موعد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ثم جئت على قدر يا موسى قال على قدر الرسالة والنبوة وقوله واصطنعتك لنفسي أي إصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسي أي كما أريد وأشاء وقال البخاري ثم تفسيرها 4736 حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذي اصطفاك الله برسالته وأصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا علي قبل أن يخلقني قال نعم فحج آدم موسى أخرجاه م 2652 وقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي أي بحججي وبراهيني ومعجزاتي ولا تنيا في ذكري قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطئا وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا له كما جاء في الحديث إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه وقوله اذهبا إلى فرعون إنه طغى أي تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والإستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي ثم قوله فقولا له قولا لينا يا من يتحبب إلى من يعاديه ثم فكيف بمن يتولاه ويناديه وقال وهب بن منبه قولا له إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله فقولا له قولا لينا قال لا إله إلا الله وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصري فقولا له قولا لينا أعذرا إليه قولا له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونارا وقال بقية عن علي بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي في قوله فقولا له قولا لينا قال كنه وروى عن سفيان الثوري كنه بأبي مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع كما قال تعالى أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله لعله يتذكر أو يخشى أي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أي يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى لمن أراد أن يذكر فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة وقال الحسن البصري لعله يتذكر أو يخشى يقول لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون أهلكه قبل أن أعذر إليه وههنا

نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروي لأمية بن أبي الصلت فيما ذكره ابن إسحاق
تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 155
وأنت الذي من فضل ثم بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له يا اذهب وهارون فادعوا ثم إلى الله فرعون الذي كان باغيا فقولا له هل أنت سويت هذه ثم بلا وتد حتى استقلت كما هيا وقولا له آأنت رفعت هذه ثم بلا عمد أرفق إذن بك بانيا وقولا له آأنت سويت وسطها ثم منيرا إذا ما جنه الليل هاديا وقولا له من يخرج الشمس بكرة ثم فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا وقولا له من ينبت الحب في الثرى ثم فيصبح منه البقل يهتز رابيا ويخرج منه حبه في رؤوسه ثم ففي ذاك آيات لمن كان واعيا الآيات 20\45 48 يقول تعالى إخبارا عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكيين إليه إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى يعتدي قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علي من أمركم شيء واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى إلى فرعون فقال رب أي شيء أقول قال قل هيا شراهيا قال ذلك أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء إسناده جيد وشيء غريب فأتياه فقولا إنا رسول ربك قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثا على بابه حينا لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان إنا رسول رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك إن على بابك رجلا يقول قولا عجبا يزعم أن له إلها غيرك أرسله إليك قال ببابي قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه يتحقق هارون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال إني رسول رب العالمين فعرفه فرعون وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ضاف

أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلتئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلما عليه فقال له موسى يا هارون إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرك أن تعاونني قال أفعل ما التابعين ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترئ على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنونا يقول إنه رسول الله فقال علي به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله قد جئناك بآية من ربك أي القدرة ومعجزة من ربك والسلام على من اتبع الهدى أي والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم
تفسير القرطبي ج: 11 ص: 239
أو عقوبة وقد قيل إن موسى عليه السلام إنما فعل هذا استخفاف ولا عقوبة كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه وقد مضى هذا في الأعراف مستوفى والله عز وجل أعلم بما أراد نبيه عليه السلام إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل أي خشيت أن أخرج وأتركهم وقد أمرتني أن أخرج معهم فلو خرجت لاتبعني قوم ويتخلف مع العجل قوم وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال فتلومني على ذلك وهذا جواب هرون لموسى عليه السلام عن قوله أفعصيت أمري وفي الأعراف إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء لأنك أمرتني أن أكون معهم وقد تقدم ومعنى ولم ترقب قولي لم تعمل بوصيتي في حفظه قاله مقاتل وقال أبو عبيدة لم تنتظر عهدي وقدومي فتركه موسى ثم أقبل على السامري ف قال فما خطبك يا سامري أي ما التابعين وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت قال قتادة كان السامري عظيما في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى فلما مرت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فاغتنمها السامري وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل فاتخذ العجل ف قال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا به يعني رأيت ما لم يروا رأيت جبريل عليه السلام على فرس الحياة فألقى في نفسي أن أقبض من رجاء قبضة فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم فلما سألوك أن تجعل لهم إلها زينت لي نفسي ذلك وقال علي رضي الله عنه لما نزل جبريل ليصعد بموسى عليه السلام إلى السماء أبصره السامري من بين الناس فقبض قبضة من أثر

الفرس وقيل قال السامري رأيت جبريل على الفرس وهي تلقى خطوها مد البصر فألقى في نفسي أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ودم وقيل رأى جبريل يوم نزل على رمكة وديق فتقدم خيل فرعون في ورود البحر ويقال إن أم السامري جعلته حين وضعته في غار خوفا
تفسير القرطبي ج: 11 ص: 240
من أن يقتله فرعون فجاءه جبريل عليه السلام فجعل كف السامري في فم السامري فوضع العسل واللبن فاختلف إليه فعرفه حينئذ وقد تقدم هذا المعنى في الأعراف ويقال إن السامري سمع كلام موسى عليه السلام حيث عمل تمثالين من شمع أحدهما ثور والآخر فرس فألقاهما في النيل طلب قبر يوسف عليه السلام وكان في تابوت من حجر في النيل فأتى به الثور على قرنه فتكلم السمري بذلك الكلام الذي سمعه من موسى وألقى القبضة في جوف العجل فخار وقرأ حمزة روينا والأعمش وخلف بما لم تبصروا بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة فقبضت قبصة معجمة وروى عن الحسن ضم القاف من قبصه معجمة الباقون قبضت قبضت بالضاد المعجمة والفرق بينهما أن القبض بجميع الكف والقبض بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم والقبضة بضم القاف القدر المقبوض ذكره المهدوي ولم يذكر الجوهري قبضة بضم القاف معجمة وإنما ذكر القبضة بضم القاف والضاد المعجمة وهو ما قبضت عليه من شيء يقال أعطاه قبضة من سويق أو تمر أي كفا منه وربما جاء بالفتح قال والقبض بكسر القاف المعجمة والعدد الكثير من الناس قال الكميت لكم مسجد الله المزوران والحصى ثم لكم قبصه من بين أثرى أقترى فنبذتها أي طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي أي زينته قاله الأخفش وقال ابن زيد حدثتني نفسي والمعنى متقارب قوله تعالى قال فاذهب أي قال له موسى فاذهب أي من بيننا فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس أي لا أمس ولا أمس طول الحياة فنفاه موسى عن قومه وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر تميم كرهط السامري وقوله ثم ألا لا يريد السامري مساسا
تفسير القرطبي ج: 11 ص: 241
قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ألا يماس الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة وكأن الله عز وجل شدد عليه المحنة بأن جعله لا يماس أحدا ولا يمكن من أن يمسه أحد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا ويقال ابتلى بالوسولس

وأصل الوسواس من ذلك الوقت وقال قتادة بقاياهم إلى اليوم يقولون ذلك لا مساس وإن مس واحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما في الوقت ويقال إن موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى له لا تقتله فإنه سخي ويقال لما قال له موسى فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس خاف فهرب فجعل يهيم في البرية والوحش لا يجد أحدا من الناس يمسه حتى صار كالقائل لا مساس لبعده عن الناس وبعد الناس عنه كما قال الشاعر حمال رايات بها قناعا ثم حتى تقول الأزد لا نسابسا مسئلة هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خلفوا ومن التجأ إلى الحرم وعليه قتل لايقتل ثم بعض الفقهاء ولكن لا يعامل ولا يبايع ولا يشاري وهو إرهاق إلى الخروج ومن هذا القبيل التغريب في حد الزنى وقد تقدم جميع هذا كله في موضعه فلا معنى لاعادته والحمد لله وحده وقال هرون القاريء ولغة العرب لا مساس بكسر السين وفتح الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال سيبويه هو مبني على الكسر كما يقال أضرب الرجل وقال أبو إسحق لا مساس نفي وكسرت السين لأن الكسرة من علامة التأنيث تقول فعلت يا امرأة قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول إذا اعتل الشيء من ثلاث جهات وجب أن يبنى وإذا اعتل من جهتين وجب ألا ينصرف لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء فمساس ودراك اعتل من ثلاث جهات منها أنه معدول ومنها أنه مؤنث وأنه معرفة فلما وجب البناء فيه وكانت الألف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين كما تقول اضرب الرجل ورأيت أبا إسحق

تفسير الطبري ج: 1 ص: 286

أمرهم به وأخبرهم أن توبتهم من الذنب الذي ركبوه قتلهم أنفسهم وقد دللنا فيما مضى على أن معنى التوبة الأوبة مما يكرهه الله إلى ما يرضاه من طاعته فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم إلى ربهم على ما أمرهم به كما حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن أنه قال في هذه الآية فاقتلوا أنفسكم قال عمدوا إلى الخناجر فجعل يطعن بعضهم بعضا حدثني عباس بن محمد قال حدثنا حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا قالا قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يحن رجل على رجل قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل وإن الله أوحى

إلى موسى أن حسبي قد اكتفيت فذلك حين ألوى بثوبه حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال حدثنا سفيان بن عيينة قال قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال موسى لقومه توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم ثم بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال فاختبأ الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة وحدثني موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي قال لما رجع موسى إلى قومه قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا إلى قوله فكذلك ألقى السامري فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي فترك هارون ومال إلى السامري فقال ما خطبك يا سامري إلى قوله ثم لننسفنه في اليم نسفا ثم أخذه فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم فلم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب فذلك حين يقول واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فلما سقط في أيدي بني إسرائيل حين جاء موسى ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فأبى الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل فقال لهم موسى يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم قال فصفوا صفين ثم اجتلدوا بالسيوف فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من صليت كلاهما حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل بينهم سبعون ألفا